

يحكى أن

٦

# ليست المسألة بالمشطارة

الدكتور  
محمد عمر الحاجي

محمد عمر الحاجي

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي



الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل الإلكتروني أو النشر أو الاستغلال بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن صريح من دار النشر

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا  
ص ب ٣١٤٢٦ - هاتف: ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس: ٢٢٤٨٤٣٢  
e-mail: almaktabi@mail.sy

دار المکتبى  
للطباعة والنشر والتوزيع  
www.almaktabi.com

فِي مَنْزِلِ الْجَدَّةِ (أُمِّ الْحَسَنِ)

قَالَتْ (أُمُّ نَعِيمٍ) لِزَوْجِهَا: لَقَدْ  
اتَّصَلْتُ بِبِئْرِ أُخْتِي عَنْ طَرِيقِ الْهَاتِفِ،  
وَأَخْبَرْتَنِي بِأَنَّ الْأَوْلَادَ، وَالْأَحْفَادَ  
سَيَجْتَمِعُونَ اللَّيْلَةَ فِي مَنْزِلِ وَالِدَتِي  
(أُمِّ الْحَسَنِ) وَنَحْنُ مَدْعُوعُونَ لِلْحُضُورِ  
أَيْضًا.

سَأَلَ (أَبُو نَعِيمٍ): وَمَا هِيَ مُنَاسِبَةٌ  
ذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ؟

ابْتَسَمَتِ الرَّوْجَةَ ، وَقَالَتْ: إِنَّ  
وَالِدَتِي قَدْ أَحَبَّتْ أَنْ نَجْتَمِعَ جَمِيعاً  
عِنْدَهَا ، وَذَلِكَ: لِأَنَّ ابْنَةَ أُخْتِي وَضَعَتْ  
مَوْلُوداً جَدِيداً ، وَقَدْ أَصْبَحَ عَدَدُ  
الْأَوْلَادِ ، وَالْأَحْفَادِ مِئَتَيْنِ !!!

وَتَابَعَتِ الرَّوْجَةَ قَائِلَةً: وَإِذَا  
عَاشَتْ إِلَى أَنْ يَكْتَمِلَ عَدَدُهُمُ الثَّلَاثِمِئَةَ؛  
فَسُنُقِيمُ حَفْلاً كَبِيراً !!!

وَقَبِيلَ الْعُرُوبِ رَكِبَ أَفْرَادُ عَائِلَةِ  
أَبِي نَعِيمٍ فِي السَّيَّارَةِ ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى  
مَنْزِلِ الْجَدَّةِ (أُمِّ الْحَسَنِ) ، بَيْنَمَا كَانَ  
الْأَوْلَادُ فَرِحِينَ بِذَلِكَ ، فَقَدْ كَانُوا

يَعْلَمُونَ أَنَّ جَدَّتَهُمْ سَتَّحَكِي لَهُمْ بَعْضَ  
الْحِكَايَاتِ الْمُفِيدَةِ الْهَادِفَةِ.

وَلَمَّا اجْتَمَعَ شَمْلُ الْعَائِلَاتِ التَّابِعَةِ  
لِأُمِّ الْحَسَنِ: حَيَّتَهُمْ بِتَحِيَّةِ السَّلَامِ ،  
وَتَمَنَّتْ لَهُمْ لَيْلَةً هَادِئَةً ، وَذَكَرَتْ لَهُمْ  
سَبَبَ هَذَا الْاجْتِمَاعِ . ثُمَّ قَالَتْ: كَمْ أَنَا  
سَعِيدَةٌ الْيَوْمَ ، وَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ أَفْرَادِ  
ذُرِّيَّتِي الْمُنْتَنِ ، وَأَحْمَدُ اللهُ سُبْحَانَهُ ؛  
لِأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ صَالِحُونَ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ،  
وَعَهْدًا إِذَا عَشَيْتُ حَتَّى يَبْلُغُوا  
الثَّلَاثِمِئَةَ فَسَأُفِيهِمْ لَكُمْ حَفْلًا كَبِيرًا؛ إِنْ  
شَاءَ اللهُ تَعَالَى!

ثُمَّ دَعَتْهُمْ إِلَى تَنَاوُلِ الطَّعَامِ ،  
وَالشَّرَابِ ، وَقَدْ كَانَ السُّرُورُ وَالْفَرَحُ  
بَادِيَانِ عَلَى الْوُجُوهِ.. ، إِلَّا أَنَّ (نِعْمَةَ  
الله) كَانَ يَبْدُو عَلَيْهِ الْوُجُومُ!.

فَسَأَلَتْهُ (أُمُّ نَعِيمٍ) : مَا لَكَ يَا نِعْمَةُ!  
لَا تَبْدُو فَرِحًا كَالْحَمِيعِ؟!.

أَجَابَ : لَقَدْ وَعَدْتُنَا ؛ وَنَحْنُ فِي  
الطَّرِيقِ إِلَى هُنَا بِأَنَّ نَسْتَمِعَ إِلَى  
جِدَّتِي ، وَهِيَ تَرْوِي لَنَا وَاحِدَةً مِنْ  
حِكَايَاتِهَا الْمُفِيدَةِ ، وَهَذَا نَحْنُ نُجَهِّزُ  
لِلرَّحِيلِ ، وَلَمْ تَرْوِ لَنَا الْجِدَّةُ  
وَلَا حِكَايَةً وَاحِدَةً!!.

الْتَسَمَتِ الْجِدَّةُ لِقَوْلِهِ ، وَنَادَتْهُ؛  
لِيَجْلِسَ إِلَى جِوَارِهَا ، وَرَاحَتْ تَحْكِي  
لَهُمْ هَذِهِ الْحِكَايَةَ الْهَادِفَةَ الْمُفِيدَةَ.

أَجَلْ! لَمَّا جَمَعَتْهُمُ الظُّرُوفُ!!

كَانَ هُنَاكَ أَرْبَعَةُ أَشْخَاصٍ جَمَعَتْهُمُ  
ظُرُوفُ الْعُزْبَةِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ ،  
أَحَدُهُمْ زَاهِدٌ فِي الدُّنْيَا ، وَالثَّانِي تَاجِرٌ  
ابْنُ تَاجِرٍ ، وَالثَّلَاثُ وَجِيهَةٌ ، وَالرَّابِعُ  
فَلَّاحٌ ابْنُ فَلَاحٍ يَحْرَثُ الْأَرْضَ.

وَكَانُوا جَمِيعًا فِي سَفَرٍ لَعْرَبِيٍّ ،  
وَلَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا إِلَّا مَا عَلَيْهِمْ مِنْ  
مَلَابِسٍ ، فَكَيْنَمَا هُمْ يَمْشُونَ فِي حَالَةٍ

مِنَ الْهَمِّ ، وَالْغَمِّ ، وَكُلِّ مِنْهُمْ يُفَكِّرُ فِي  
مَاضِيهِ ، وَحَاضِرِهِ ، وَمُسْتَقْبَلِهِ؛ قَالَ  
الزَّاهِدُ: الدُّنْيَا كُلُّهَا قَضَاءٌ ، وَقَدَرٌ ،  
وَخَيْرٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى  
الْقَضَاءِ ، وَالْقَدَرِ ، وَيَنْتَظِرَ نَصِيبَهُ ،  
وَيُسَلِّمَ أَمْرَهُ لِخَالِقِهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْقَاجِرِ: بَلِ الْمَسْأَلَةُ  
بِالْحَيْلَةِ ، وَالشُّطْرَةِ.

وَقَالَ الْوَجِيه: بَلِ الْوَجَاهَةُ ،  
وَالْجَمَالُ هُمَا الطَّرِيقَانِ الْمُوصِلَانِ إِلَى  
الرِّزْقِ ، وَالْخَيْرِ ، وَالسَّعَادَةِ ، وَالرِّفَاهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْفَلَاحِ: بَلِ إِنَّ حَزْتَ

الأرض ، وَزَرَعَهَا ، وَالْعِنَايَةَ بِالأشجارِ  
هُوَ مَصْدَرُ الرِّزْقِ الحلالِ .

وَلَمَّا سَارُوا مَسَافَةً طَوِيلَةً ،  
شَارَفُوا عَلَى مَدِينَةٍ جَمِيلَةٍ .

فَجَلَسُوا يَتَشَاوَرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ،  
فَلَيْسَ مَعَهُمْ طَعَامٌ ، وَلَا شَرَابٌ ...

فَمَاذَا يَفْعَلُونَ مِنْ أَجْلِ الحُصُولِ عَلَى  
الرِّزْقِ الَّذِي يُمَكِّنُهُمْ مِنْ مُوَاصَلَةِ  
الطَّرِيقِ .

إِذَا: فَلنَجْرَبْ !!

فَقَالُوا لِلْفَلاحِ: اذْهَبْ ، وَاکْتَسِبْ لَنَا  
طَعَامًا لِيَوْمِنَا هَذَا!! .

فَمَشَى الْفَلَّاحُ نَاحِيَةَ الْمَدِينَةِ ، فَلَمَّا  
دَخَلَهَا سَأَلَ النَّاسَ عَنْ عَمَلٍ إِذَا عَمِلَهُ  
الْإِنْسَانُ؛ يَكْتَسِبُ فِيهِ طَعَامَ أَرْبَعَةِ  
أَفْرَادٍ؟.

فَقَالُوا لَهُ: الْأَرْضُ هُنَا مَلَانَةٌ  
بِالْأَعْشَابِ الضَّارَّةِ ، وَالنَّاسُ كُسَالَى ،  
فَإِذَا جُمِعَتْ الْأَعْشَابُ الضَّارَّةُ مِنَ  
الْحَدَائِقِ؛ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنَالَّ بِرُكْمِهَا  
فَتَشْتَرِيَ بِهِ طَعَامًا لِأَرْبَعَةِ أَفْرَادٍ.

فَعَمِلَ الْفَلَّاحُ ذَلِكَ ، وَكَتَبَ عَلَى بَابِ  
الْمَدِينَةِ: عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ أَتَعْبُ  
الرَّجُلُ فِيهِ جِسْمَهُ فِيمَتَهُ يَرْهَمُ). ثُمَّ

عَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِالطَّعَامِ ، فَأَكَلُوا .

وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الثَّانِي قَالُوا  
لِلْوَجِيهِ الْجَمِيلِ : جَاءَ دُورُكَ ! ! .

فَانْطَلَقَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَفِي الطَّرِيقِ  
فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ ، وَقَالَ : أَنَا لَا أَحْسِنُ أَيَّ  
عَمَلٍ ، وَإِنَّا دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَمَاذَا  
أَفْعَلُ ؟ ! ! .

وَحِجِلَ الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَفَرَّرَ  
لِلْمُرُوبِ ، فَرَأَى شَجَرَةً كَبِيرَةً ، فَجَلَسَ  
تَحْتَ أَغْصَانِهَا وَنَامَ ! ! .

وَفِي ذَلِكَ الْأَثْنَاءِ ، مَرَّ بِهِ أَحَدُ  
الرَّسَّامِينَ الْكِبَارِ ، فَأَعْجَبَهُ شَكْلُهُ

الْجَمِيلِ ، وَالْوَسِيمِ ، وَهُوَ نَائِمٌ تَحْتَ  
الشَّجَرَةِ ، فَأَخْرَجَ أَدْوَاتِ الرَّسْمِ ،  
وَرَسَمَ لَهُ لَوْحَةً رَائِعَةً ، ثُمَّ أَيْقَظَهُ مِنْ  
النُّومِ وَأَعْطَاهُ خَمْسِمِئَةَ دِرْهَمٍ !

فَكَتَبَ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ : (جَمَالُ  
يَوْمٍ وَاحِدٍ يُسَاوِي خَمْسِمِئَةَ دِرْهَمٍ) . ثُمَّ  
اشْتَرَى طَعَامًا ، وَعَادَ إِلَى أَصْحَابِهِ  
وَسَلَّمَهُمْ بِقِيَّةِ الدَّرَاهِمِ .

.. وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ  
انْطَلَقَ ابْنُ التَّاجِرِ بِاتِّجَاهِ الْمَدِينَةِ ،  
فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى الْمِيلِ عَلَّاهِ أَجَلِ ؛  
رَأَى سَفِينَةً فِيهَا بِصَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَرَأَى

جَمَاعَةٌ مِنَ التُّجَّارِ جَالِسِينَ يَتَشَاوَرُونَ  
فِي شِرَاءِ الْبِضَاعَةِ. وَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ:  
ارْجِعُوا بِنَا الْيَوْمَ. فَعَلَيْنَا أَلَّا نَشْتَرِي  
شَيْئًا مِنَ الْبِضَاعَةِ حَتَّى تَكْسُدَ ،  
وَعِنْدَيْكَ سَيُضْطَرُّ أَحْصَابُهَا أَنْ  
يُرْخِصُوا الثَّمَنَ!!

فَأَسْرَعَ ابْنُ التَّاجِرِ إِلَى أَصْحَابِ  
الْمَرْكَبِ وَقَالَ لَهُمْ: أُرِيدُ شِرَاءَ الْبِضَاعَةِ  
بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، فَوَافِقُوا، وَبِسُرْعَةٍ  
رَاحَ الْحَمَّالُونَ يُنْزِلُونَ الْبِضَاعَةَ.

فَلَمَّا سَمِعَ التُّجَّارُ هَذِهِ الْحَرَكََةَ ،  
وَرَأَوْا الْبِضَاعَةَ وَهِيَ تَنْزِلُ ، هَرَعُوا إِلَى

ابن التاجر ودفعوا له ثمن البضاعة  
مع ربح يُعادل الثمن! فأخذ ذلك منهم  
وكتب على باب المدينة: (شطارة يوم  
واحد تساوي مئة ألف درهم). وعاد  
إلى رفاقه بالطعام والمال الوفير.

وفي صباح اليوم الرابع انطلق  
الزاهد باتجاه المدينة. وأمام  
العمارات الجميلة فيها أطرق الزاهد  
رأسه يفكر في أحوال الدنيا، وفي تلك  
اللحظات مرت جنازة حاكم تلك  
المدينة، وكان الناس في حزن وبكاء.  
فرفع الزاهد رأسه، ونظر إلى الجنازة

وَإِلَى النَّاسِ ، فَشَتَمَهُ الْمُقَرَّبُونَ مِنْ  
الْمَلِكِ ، وَطَرَدُوهُ .

وَلَمَّا عَادُوا مِنْ دَفْنِ الْمَلِكِ ، أَلْقُوا  
الْقَبْضَ عَلَى الزَّاهِدِ ، وَوَضَعُوهُ فِي  
غِيَابِ السِّجْنِ .

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِيِ اجْتَمَعَ كِبَارُ أَهْلِ  
الْمَدِينَةِ لِاخْتِيَارِ حَاكِمٍ جَدِيدٍ لِبَلَدِهِمْ .  
فَقَالَ أَحَدُهُمْ: لَعَلَّ وِرَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلِ  
الْغَرِيبِ سِرًّا! فَجِيءَ بِهِ . فَقَصَّ عَلَيْهِمْ  
قِصَّتَهُ . حَيْثُ قَالَ: لَقَدْ زَهَدْتُ فِي الدُّنْيَا  
بَعْدَ مَا كُنْتُ حَاكِمًا عَلَى بَلَدٍ مِنَ الْبِلَادِ .

فَقَالُوا: نَحْنُ نُرِيدُ هُنَا حَاكِمًا زَاهِدًا

عَادِلًا ، فَاتَّفَقُوا عَلَى تَعْيِينِهِ مَلَكًا  
عَلَيْهِمْ ، وَأَرْكَبُوهُ عَلَى فَيْلٍ أَبْيَضَ ،  
وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ ، وَقَرَأَ  
مَا كَتَبَهُ رِفَاقُهُ ؛ كَتَبَ تَحْتَهَا : (إِنَّ  
الْمَسْأَلَةَ لَيْسَتْ الْحِيلَةَ وَالشُّطْرَةَ  
وَالجَمَالَ ، بَلْ كُلُّ مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ  
إِنَّمَا هُوَ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ) . ثُمَّ أَمَرَ  
فَأُخْضِرَ رِفَاقُهُ ، وَعَيَّنَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
فِي الْعَمَلِ الَّذِي يُنَاسِبُهُ ، وَيَنْفَعُ الْبِلَادَ .

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ